

**«القدرات القتالية لجيش التحرير الوطني**

**1954-1958. منطقة المناجم الشرقية نموذجاً.»**

د. عبد الوهاب شلالى

أستاذ محاضر "أ" جامعة العربي التبسي - تبسة.



## المخلص

تتاول هذا المقال موضوعا عسكريا متخصصا حول قدرات جيش التحرير الوطني القتالية إبان الثورة التحريرية (1954-1958) (المنطقة الخامسة، الولاية الأولى)، وذلك من خلال عينة من المجاهدين الذين كانوا يحاربون الاحتلال الفرنسي بمنطقة المناجم الشرقية الحدودية ( المنطقة الخامسة، الولاية ( الأولى). إن هذا النوع من الاختصاص في التاريخ العسكري قلما تطرق إليه المؤرخون والمجاهدون سواء في الكتابات المدونة أو الحية.

إن الهدف من هذا البحث هو محاولة سدّ جزء من هذا الفراغ، من جهة، والتعريف بالقدرات النفسية والمادية والتكتيكية لأفراد جيش التحرير الوطني، من جهة أخرى. فبفضل هذه القدرات استطاع جيش التحرير أن يقهر الجيش الفرنسي المحتل الذي يفوقه عدّة وعددا، وينتزع منه الاستقلال.

الكلمات المفتاحية : التاريخ العسكري - التكتيك الحربي- الثورة التحريرية - الحاجز الحدودي المكهرب - الحدود الشرقية - عمليات التمشيط والتربيع - القدرات القتالية - المنظمة الخاصة.

## مقدمة

يعد البحث في القدرات القتالية لجيش التحرير الوطني من المواضيع العسكرية المتخصصة، التي تدخل ضمن مجال تخصص التاريخ العسكري. ولكن هذا التخصص بحسب علمنا تفتقر إليه اليوم الجامعات ومراكز البحث التاريخي في الجزائر.

أضف إلى ذلك، أن الشهود العيان مثل المجاهدين، سواء منهم الذين نشروا مذكراتهم، أو الذين أجرينا معهم حوارات في مناسبات معينة، لم يتحدثوا عن مسألة القدرات القتالية بشكل واضح، حتى وإن أشاروا إلى البعض منها بشكل عابر، بما لا يمكن الباحث من ولوج هذا النوع من المواضيع، وإعداد أبحاث ودراسات تاريخية أكاديمية تغطي الفراغ الكائن في هذا الجانب من تاريخ الثورة التحريرية.

أكثر من ذلك، لم يحظ هذا الموضوع، بحسب إطلاعي المتواضع، بالاهتمام الكافي والدراسة المستفيضة من قبل الباحثين أو المؤرخين المهتمين بتاريخ ثورة التحرير الجزائرية.

لأجل ذلك، خصّصت هذا المقال الموسوم : « القدرات القتالية لجيش التحرير الوطني بين 1954-1958. منطقة المناجم الشرقية أنموذجا»، لتغطية كما نرجو، جزء من ذلك الفراغ.

لقد انطلقت في معالجة موضوع هذا البحث، من الإشكالية التالية : فيما تجسدت القدرات القتالية لأفراد جيش التحرير الوطني بالمنطقة فضاء بحثا ؟ وكيف يمكن دراستها دراسة تاريخية بعيدة عن التفاصيل العسكرية البحتة ؟

كما سعيت إلى الإجابة على الأسئلة الفرعية التالية : من هم رجال جيش التحرير الوطني ؟ وهل كانت لديهم الخبرة الضرورية في استعمال الأسلحة الحربية ؟ وما السر في ثباتهم في ساحات الوغاء وقدرتهم على إفشال مخططات عدوهم ؟ وكيف واجهوا قوات عدوهم الرادعة وصدّوا أمامها ؟ كيف استطاعوا الحفاظ على شعلة الثورة التحريرية مستعرة إلى أن حققوا هدفها المنشود بتحقيق استقلال الجزائر ؟

وبما أنه يصعب إعداد دراسة شاملة عن القدرات القتالية لجميع عناصر جيش التحرير الوطني في مقال واحد، فإنني فضلت التركيز على عينة بالدراسة عينة منهم جاهدت في المنطقة الحدودية الشرقية التي كانت تدخل ضمن إقليم المنطقة الخامسة من الولاية الأولى.

لقد درست موضوع هذا البحث انطلاقاً من زاويتين رئيسيتين : الزاوية الأولى، هي البحث في القدرات البشرية التي كان يمتلكها الثوار الجزائريون بعد أن التحقوا بصفوف جيش التحرير الوطني، وصاروا قادرين على مقارعة جيش نظامي واحترافي، يفوقهم في العدة والعتاد، ويحتل المرتبة الرابعة بين جيوش العالم.

كما ركزت البحث على القدرات البدنية والنفسية، التي مكنتهم من رفع التحدي في وجه تلك القوة الغاشمة، والصمود أمام آلياتها الحربية الفتاكة إلى أن حققوا هدفهم المنشود، بتحرير البلاد، ووضع نهاية لحالة الاستعمار التي دامت لأكثر من قرن.

أما الزاوية الثانية، فبحثت فيها القدرات المادية والتكتيكية، التي مكنت عناصر جيش التحرير الوطني بإمكانياته البسيطة، من مواجهة الحملات العسكرية الواسعة للجيش الفرنسي، التي استخدم فيها جميع أنواع الأسلحة بما في ذلك الأسلحة المحرمة دولياً.

### - أولاً، القدرات البشرية (البدنية والنفسية)

لقد انطلقت ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، في ظروف صعبة وإمكانيات محدودة في العدد والعتاد. حيث عانى المجاهدون الأوائل من ندرة السلاح والمال، وصعوبة الاتصالات، وقوة الحملات العسكرية التي جردت ضدهم. ومع ذلك فرضوا أنفسهم أمام عدوهم كأمر واقع، ولم يمكنوه من القضاء عليهم، ووضع حد لتطلعهم إلى التحرر والانعتاق بواسطة "الغف".

فالمعلوم أن العناصر الأولى لجيش التحرير، تشكلت من مناضلي المنظمة الخاصة الذين نجوا من حملة الاعتقالات، أو الذين أطلق سراحهم قبل اندلاع الثورة التحريرية، بالإضافة إلى بعض

الوطنيين المشحونين بحماس المقاومة، والمطاردين من الشرطة الاستعمارية، الذين كانوا متوارين في الجبال، وبعض المجندين الجزائريين الفارين من خدمة العلم الفرنسي.

فقد سبق لأعضاء المنظمة الخاصة التدرّب، خلال فترة التكوين شبه العسكري، على الحرب الثورية، وتلقي دروسا في الرياضة البدنية، والقنص، وفي مبادئ التكتيك الحربي، والإعداد الأخلاقي. وعندما اندلعت الثورة التحريرية، نقل الناجون منهم من ملاحقات المصالح الأمنية، تلك المعارف والخبرات إلى أفراد جيش التحرير الوطني.

ومع تطور الأحداث العسكرية، صارت كفاءة الفرد في المعركة ممكنة، بفضل تطوير قدراته القتالية، وتحفيز الجانب الديني فيه، واستمالة قلبه وذهنه، ووعيه السياسي بالثورة.

وفي المنطقة فضاء بحثا، كان أفراد جيش التحرير الوطني ينتمون وفقا لشهادة المراسل الصحفي اليوغسلافي، الذي عاش بين ظهرانيهم في بداية الثورة، إلى فئات: « الفلاحين، المزارعين، وفقراء القرى، وعمال المناجم، والطلبة، وقدماء محاربي جيش الاستعمار الفرنسي»<sup>(1)</sup>

وذكر المؤرخ محمد حربي، أن: «جبهة التحرير، وجيش التحرير، تشكلا في منطقة الحدود الشرقية أساسا من فلاحين، وعمال مناجم، وفئات مهمشة»<sup>(2)</sup>

وسبق لي أن بيّنت، من خلال دراسة أكاديمية أجريتها عن الثورة في المنطقة الخامسة من الولاية الأولى، أن عمال المناجم، شكّلوا النسبة الغالبة في أفراد جيش التحرير الوطني. حيث توزّعوا بين مجاهدين يحملون السلاح، ومناضلين ينشطون داخل المراكز المنجمية، وفدائيين يضطلعون ببعض المهام الحربية الخطيرة، التي كانت تسند إليهم. فكانوا يقدمون على تنفيذها بتصميم، وإنجازها بنجاح لقناعتهم بعدالة قضية الثورة التحريرية.<sup>(3)</sup>

## أ) - القدرة البدنية :

تجسدت مظاهر القدرة البدنية لدى عناصر جيش التحرير الوطني، في العناصر التالية : اللياقة البدنية، الاندفاع والحماسة، القدرة على تحمل الصعاب، الأهلية والكفاءة في المعارك، الاستعداد والقابلية للتضحية.

فلقد أخذت قيادة الثورة بالحسبان ضرورة تمتّع المجاهدين بقدرات بدنية وجسدية تؤهلهم لخوض غمار الحرب التحريرية. ولذلك عكفت على تدريبهم وتكوينهم، في بداية انطلاق الثورة، على مواجهة كل الظروف الخاصة بحرب العصابات، ثم أهلتهم فيما بعد وجعلت منهم جيشاً منظماً ومهيكلًا.

حيث كانت لهم قدرة على السير ليلاً في أرض وعرة المسالك ولمدة طويلة، وتحمل التعب وقلة النوم، والاكتفاء ببقيمات بسيطة وقليلة لسد رمق الجوع، ومداواة الجراح التي تصيب الأرجل ببعض الأعشاب التي تساعد في التئام الجراح.<sup>(4)</sup>

وبالنسبة لمجاهدي منطقة المناجم الشرقية، فإن عمال المناجم الذين التحقوا بصفوف جيش التحرير الوطني، كانت لديهم لياقة بدنية اكتسبوها في حقول العمل. حيث كانوا يشتغلون في استخراج المعدن وتفتيته، وفرزه، ودفع عربات الشحن الثقيلة، التي كانت حمولتها تتراوح بين 1، 4 إلى 1، 9 طن.<sup>(5)</sup>

كما حافظوا على لياقتهم، خلال مشاركتهم في الثورة التحريرية، من خلال تنقلاتهم الراجلة المستمرة عبر الجبال والوديان، والقرى والمداشر، سواء لأداء واجبهم الجهادي، أو لربط الاتصال بمختلف مراكز القيادة والإيواء، المنتشرة بين الأوراس وسوق أهراس، وفي داخل التراب الوطني والبلاد التونسية. فقيادة الثورة كانت تفضل تجنيد الرجال الأصحاء والشجعان، الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و40 سنة.<sup>(6)</sup>

وقد استفاد عناصر جيش التحرير الوطني من هذه الميزة عند دخولهم في قتال التلاحم الجسدي، الذي يتطلب مهارة وقوة بدنية. حيث أثبتوا في أغلب الاشتباكات التي دار فيها هذا النوع من القتال

شجاعة وبسالة منقطعة النظير. ففي 20 أكتوبر 1957، شنّ القائد الطاهر زبيري هجوماً على مركز عسكري فرنسي، بمنطقة المشري المحاذية للحدود، أفضى إلى مقتل حوالي 12 عسكرياً، وفرار 25 آخر من المركز بلباسهم الداخلي، وغنم 12 بندقية حربية رشاشة من نوع 29/24، ومدفع هاون من نوع مورتى 45، وجهازي لاسلكي. في حين استشهد في الهجوم ستة مجاهدين، وجرح 14 آخرين.<sup>(7)</sup>

وفي معركة الكاف لعكس، التي وقعت في شهر فيفري 1958، ودامت أسبوعاً كاملاً أثبت أفراد جيش التحرير الوطني كفاءة كبيرة في إدارة القتال. حيث كبدوا قوات جيش الاحتلال، خسائر لا يستهان بها كان أهمها مقتل العقيد روكل. في المقابل استشهد في المعركة العقيد الشريف ملاح.<sup>(8)</sup>

كما برهنوا على تمتعهم بلياقة بدنية كبيرة خلال تنقلاتهم عبر الحاجز الحدودي المكهرب، الذي كان يطلق عليه اسم : خط الموت. حيث تحملوا مشقة كبيرة في اختراقه، ونقل الأسلحة على أكتافهم لتدعيم الجهوزية العسكرية في الداخل.

فقد أشارت جريدة لومند الفرنسية، في عددها الصادر في شهر جوان 1957، إلى اختراق أفراد جيش التحرير الوطني للخط الحدودي المكهرب، ومهاجمة المراكز المنجمية في الجهة الحدودية الشرقية بالقول : «أما بالنسبة لخط موريس، فإن فرق جيش التحرير الوطني المقيمة في المنطقة الميتة» بين الحدود وخط موريس، تشن هجمات متواصلة منتظمة عليه، وتخربه في جهات عديدة، كما تهاجم بانتظام مركز الونزة الاقتصادي، والمراكز الواقعة على طول الحدود. فتجمد بذلك فرقا ضخمة من الجيش الفرنسي، وتجبرها على ملازمة الخط المكهرب»<sup>(9)</sup>

وأما بالنسبة للاندفاع والحماسة، والتي يعبر عنها أيضاً بالشجاعة، فقد تجلت لدى عناصر جيش التحرير الوطني في مواجهة عدوهم الفرنسي المدجج بالأسلحة المتنوعة، بأسلحة بسيطة، وإتقانهم تكتيك حرب العصابات، الذي كان يتطلب إقداماً وثباتاً، وجسارة كبيرة عند

الاشتباك مع وحداته، خاصة أثناء التلاحم الجسدي، أو القتال في جبهة ضيقة من خلال مواقع تسيطر على محاور تقدّم قوات العدو المهاجمة.

وفي هذا الشأن، ذكر القائد الطاهر زبيري، أن مجاهدي منطقة المناجم الشرقية اتبعوا في بداية اندلاع الثورة، استراتيجية تقوم على: «.. أسلوب الهجمات المباغتة، ثم الانسحاب السريع، وتجنّب الاشتباك المباشر [مع الجيش الفرنسي] والتركيز على [وضع] الكمائن، التي عادة ما تكون نتائجها مضمونة»<sup>(10)</sup>

وقال أحد ضباط جيش التحرير الوطني: « شكّلت لنا المناطق المحرّمة مشكلة حيوية كادت أن تكون دراماتيكية لولا شجاعة الثوار الخارقة»<sup>(11)</sup>

فعلى غرار بقية مجاهدي المناطق الأخرى من الوطن، كان عناصر ثوار منطقة المناجم الشرقية أشاوس في مقارعة عدوهم. فكل العمليات الثورية التي نفذت في بداية انطلاق الثورة في منطقة المناجم الشرقية، كانت بحسب شهادة أحد القادة الميدانيين، من اجتهادات القادة والجنود، ولولا الاندفاع والحماس الذي ميّزهم، لما تحقّق النصر. ولو أنهم انتظروا إلى أن تتوفر لهم جميع الإمكانيات، لما قامت الثورة أو على الأقل لتأخر موعدها سنوات وسنوات.<sup>(12)</sup>

وأفاد أحد المؤرخين الفرنسيين، بأن المجندين الفرنسيين كانوا في بداية الأمر لا يباليون عند احتكاكهم بعناصر جيش التحرير الوطني، ولكنهم سرعان ما أدركوا بعد منازلتها مدى شجاعتها وحيويتها.<sup>(13)</sup>

كما تجلّت بسالتهم، وقدرتهم على تخطي الصعاب، مهما كان حجمها أو شكلها، في تحدي قوات الاستعمار عند الحاجز الحدودي المكهرب، الذي عوّل عليه قادة جيش الاحتلال كثيرا في عزل الثورة الجزائرية، وشل حركة رجالها، وتجفيف منابع أسلحتها.<sup>(14)</sup>

ففي قلب الضغط العسكري الفرنسي على المناطق الحدودية، تمكن ثلث قوات جيش التحرير الوطني من اجتياز الحاجز المكهرب، والتسلل إلى داخل الجزائر، في مناطق مرسط، المشروحة،

ونقرين، كما شهد بذلك أحد تقارير مصلحة الاستعلامات المعروفة باسم: "المكتب الثاني".<sup>(15)</sup>

كما تمكنوا من التصدي لمحاولات جيش العدو المتكررة ضرب القواعد الخلفية لجيش التحرير الوطني في محور الونزة - بوشبكة - تبسة، والتوغل داخلها لمنع من تنفيذ هجمات ضد وحداته في الحدود الشرقية، وإجباره على التراجع، مثلما حدث خلال الاشتباك الرهيب الذي دار في جبل العنق، والذي أسماه المجاهدون « معركة مدفع 75 ».<sup>(16)</sup>

وأما قدرتهم على تحمّل الصعاب، فقد تجلّت في التحلي بالصبر على الطوى، وتحمّل مشاق السير، وظروف الإقامة والمبيت القاسية. فقد وصف أحد المجنّدين الفرنسيين، شارك في العمليات العسكرية الأولى التي جردت ضد الأوراس، في مذكراته أن المغارات التي كان يلجأ إليها المجاهدون كانت تعج بالشعابين والزواحف.<sup>(17)</sup>

وأما الأهلية والكفاءة في المعارك، والتي تُعرف في قاموس العسكريين بأنها: «فن استخدام القوات العسكرية والأسلحة وفنون القتال في الاشتباكات والمعارك، وإعداد الخطط والوسائل التي تعالج الوضع الكلي للصراع الذي تستخدم فيه القوة من أجل تحقيق هدف السياسة الذي تعذر تنفيذها بوسائل أخرى»<sup>(18)</sup>، فقد تجلّت أهلية وكفاءة أفراد جيش التحرير الوطني في المعارك، في إجادة استخدام السلاح رغم قلته وبساطته، وسرعة إتقان استخدام الأسلحة الحربية التي كانوا يغمونها من عدوهم، أو يجلبونها من خارج الوطن، فيشنون بها الهجمات، ويستعملونها في الكمائن، وإلحاق الأضرار بقوات جيش الاحتلال. فقوانين حرب الكر والفر تقوم على مبدأ: مقاوم واحد يقاتل 9 جنود نظاميين للعدو؛ وثأر واحد يدعمه 5 مناصرين.

فأغلب الروايات التاريخية لمجاهدي المنطقة مجال بحثنا، تجمع على أن المجنّدين في صفوف جيش التحرير، كانوا في بداية الثورة يملكون بنادق صيد، وبعض قطع الأسلحة القديمة من مخلفات الحرب العالمية الثانية، ولم يخضعوا للتدريب على استعمال السلاح، أو فنون القتال، أو

أساليب إدارة المعارك. فكل ما حصلوا عليه، هو بعض التوجيهات الخاصة بالحرب الثورية التي كانت تلقن لهم ميدانيا.<sup>(19)</sup>

كما تجلت الأهلية أيضا، في العمليات الهجومية العنيفة، التي شنوها في بداية الثورة، على نقاط مختلفة للمحتل في منطقة المناجم. حيث أبدوا بالرغم من قلة أسلحتهم قدرة قتالية عالية في تنفيذ المهام التي أسندت إليهم، مثل زرع العبوات الناسفة في طريق آليات الجيش الفرنسي، بهدف الاستيلاء على أسلحته. فقد ذكر لي أحد المجاهدين أنهم كانوا يكلفون بزرع ألغام في الطريق الرابط بين بوخضرة، ومشته أولاد نصر، والذي كانت تمر منه آليات العدو باستمرار، فتصيب عربات نقل الجنود، وتقتل من بداخلها وتلحق أضرارا بالدبابات، وتوفر لهم السلاح والذخيرة.<sup>(20)</sup>

وظهرت كذلك، في التكتيك الحربي الذي اتبعوه، والقائم على التواري عن أنظار العدو، وعدم مهاجمته إلا بعد التيقن من فرص النجاح؛ وتحاشي الاشتباك مع وحداته قدر الإمكان، بغية المحافظة على أرواح أكبر عدد ممكن منهم، لقناعتهم بأن الثورة ما زالت متواصلة.<sup>(21)</sup>

كما تجلّت في شن الهجمات والغارات الخاطفة ضد مواقع العدو المعزولة، ونصب الكمائن لوحداته المتقلة، وضرب مصالح شركات التعدين. مثل تحطيم خط التيار العالي الرابط بين الونزة والعوينات، وتخریب قضبان سكك الحديد بواسطة الألغام شديدة المفعول، لمنع نقل الفوسفات والحديد إلى ميناء عنابة لتصديره.

ففي يوم 13 جوان 1957، وضع بعض المجاهدين لغما شديدا المفعول في خط عين الشانية الحديدي. استخدموا فيه قنابل كهربائية قدرت بثلاثة كلغ من المتفجرات العالية من نوع (تي. أن تي T. N. T). وأثناء مرور القطار محملا بالحديد، انفجر اللغم، فتحطم القطار، والمدرعة الموضوعية على متته، وأتلف حوالي 200 متر من سكة الحديد.<sup>(22)</sup> وفي 11 جانفي، هلك 42 جنديا فرنسيا في الكمين الذين نصبته لهم كتيبة الطاهر زيبيري في جبل علاهم.<sup>(23)</sup>

وكذلك في : « استخدام قوات معتبرة عند اجتياز الحاجز، والاعتماد على نشر عدد كبير من المجموعات الصغيرة على طول الشريط الحدودي المحاذي للحاجز المكهرب، وتوجيه ضربات متزامنة لتحديد الوحدات الفرنسية وتثبيتها في نقاط عديدة من خطوطها الدفاعية.»<sup>(24)</sup> وقد سمح هذه التكتيك بفتح عدّة ممرات في الحاجز المكهرب، وتميرير قوافل السلاح نحو الداخل.

وبالرغم من أن المنطقة المشمولة بالدراسة، لم يكن بها سوى أفواج من بضعة مجاهدين، يتوفرون على القليل من السلاح<sup>(25)</sup>، والإمكانيات المالية المتاحة كانت تافهة<sup>(26)</sup>، فإن قيادة الثورة فيها، جعلتها قادرة على تسديد ضربات موجعة ومباغته لجيش العدو، المتفوق عليها في العدد والعتاد؛ والتحرك في اتجاهات متعددة دون الدخول معه في الالتحام المباشر، والمجابهاات الطويلة، وإشعاره بأنه يواجه خصما كثير العدد، وحسن التنظيم.

ولعلّ هذا ما ساعد قيادة الثورة على مواصلة الهجمات على وحدات جيش الاحتلال دون انقطاع، إلى غاية وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962.

فعندما نشرت سلطات الاحتلال، قوات كبيرة في منطقة الحدود الشرقية سنة 1955، أنشأت مراكز عسكرية عديدة لا يقل عدد أفرادها عن كتيبة، وقرّرت عدم الخروج في عمليات قتالية بأقل من فصيلتين. في المقابل، لم يعد في استطاعة الثوار التمرکز في الجبال، بمجموعات من 150 إلى 300 مسلح بالأسلحة الرشاشة. وتم إنشاء مراكز من فصيلة واحدة مع دوريات تحيط بها.<sup>(27)</sup>

وقد مكن هذا التكتيك الحربي الثوار، من تحقيق بعض الانتصارات الميدانية. حيث ذكر مقدّم في الجيش الفرنسي، أثناء حديثه عن النشاط العسكري لكتيبته في منطقة تبسة، أن : «صيف سنة 1957، كان فترة نشطة جدا.. فالكتيبة التي عملت فيها خسرت من الرجال في ظرف 3 أشهر من تعقب المتمردين الناجين، أكثر مما خسرتة خلال 18 شهرا من المعارك.»<sup>(28)</sup>

## ب) - القدرات النفسية :

يؤكد المختصون في العلوم العسكرية أن القدرات النفسية عند المحارب، تتعلق بثلاثة عوامل، هي : معرفته التقنية، مهارته في استعمال السلاح، وإرادته في القيام بذلك. ويعد العامل الأخير هو الأهم بحيث إذا ما غابت الإرادة غابت معها العوامل الأخرى.

فالأستعداد النفسي عند الإنسان يتكوّن من خلال الأفكار، والمعتقدات والتصورات عدماً أو وجوداً. فهو ضروري للمحارب لأجل أن يتصرف بلا تأخير، ويستجمع أفكاره أثناء القتال، ويتقبّل أفعاله. فيقدر وضوح الفكرة عنده تستعد نفسه تبعاً لتصوره. « فالحرب هي مجال الجهد البدني، والمعاناة الجسدية.»<sup>(29)</sup>

وبالنسبة لعناصر جيش التحرير الوطني، فقد كانوا كان الاستعداد النفسي هو العامل الأساس، الذي يحدّد لهم نتيجة معركة أو مواجهة. فالمعركة قبل كل شيء هي معركة إرادات، ذلك أن النصر كما الهزيمة يتم تصورهما ذهنياً في المقام الأول.

فالأستعداد النفسي والبدني، الذي تحلى به المجاهد الجزائري جعل منه محاربا قويا، ومقاوما ماهرا، وقادرا على التضحية في سبيل الدفاع عن شعبه ووطنه ومنظومة قيمه. وقد صار ذلك ممكنا بفضل التحفيز على القتال باستعمال الحافز الديني، مثل التكبير عند بدء الاشتباك، للرفع من معنويات المجاهد.

- أهمية الإعداد النفسي. يُجمع علماء النفس بأن ثائرا واحدا يكون أقوى معنويا من ثلاثة عساكر نظاميين. بينما يؤكد المختصون في العلوم العسكرية أن فعالية المحارب تتعلق بثلاثة عوامل، هي : معرفته التقنية، ومهارته في استعمال السلاح، وإرادته في القيام بذلك. ويعد العامل الأخير هو الأهم بحيث إذا ما غابت الإرادة غابت معها بقية العوامل.

فالأستعداد النفسي ضروري للمحارب لأجل أن يتصرف بلا تأخير؛ ويستجمع أفكاره أثناء القتال، ويتقبّل أفعاله.

وقد تحلى عناصر جيش التحرير الوطني، بهذه المميزات. حيث آمنوا بعدالة القضية التي حاربوا من أجلها، وضحوا في سبيلها بالنفس والنفيس، وحدثهم الرغبة في مواجهة قوات عدوهم، حتى وإن كان ميزان القوة في غير صالحهم.<sup>(30)</sup>

ولذلك لم يحدث أن أُجبر أحد على الالتحاق بصفوف الثورة. بل ثبت بخلاف ذلك، أن رفضت الثورة قبول متطوعين لأسباب تتعلق بندرة السلاح أو بظروف المتطوعين الاجتماعية، مثل الحال التي يكون فيها المتطوع المعيل الوحيد لوالديه.

فقد كانت قيادة الثورة كما ورد في أحد تقارير مصلحة الاستعلامات العامة الفرنسية، تستخدم طرقا عديدة في تجنيد المجاهدين منها تجنيد الشباب المتطوع الذي كان يأتي بدافع المساهمة في الكفاح المسلح، والشباب الذي تم الاتصال به وتوعيته بالثورة وأهدافها من قبل مجاهد من أبناء منطقتة.<sup>(31)</sup>

وذكر أحد المجاهدين، أن إيمانهم بالله وبعدالة القضية الوطنية، هو الذي كان يجعل جلدهم وصبرهم وشجاعتهم في ساحات الوغى أمرا لا يصدّق. فالطاقة الكامنة في الإنسان تصبح خارقة لما يكون مشدودا إلى مثل أعلى، ومتحليا بإيمان قوي.<sup>(32)</sup>

## - ثانيا، القدرات المادية والتكتيكية

### أ) القدرات المادية :

تعرف القدرة المادية بأنها بالقدرة القتالية. وتشمل القدرة على تطوير أسلوب الحرب من حرب العصابات إلى حرب منظمة.

بدأت الثورة في المنطقة فضاء بحثنا، بثلاثة أفواج من المجاهدين. فوج أول بقيادة الشهيد مختار باجي ضم 10 مجاهدين ؛ وفوج ثاني بقيادة عمر جبّار ضم 40 مجاهدا<sup>(33)</sup> ؛ وفوج ثالث بقيادة الشهيد جديات المكي ضم 18 مجاهدا<sup>(34)</sup>.

كان الفوجان الأولان مسلحان بأربعة بنادق حربية من نوع "خماسي"،  
وصندوق بارود.<sup>(35)</sup> بينما كان الفوج الثالث مسلحا تسليحا عصريا.

وبحسب شهادة أحد ضباط جيش التحرير الوطني من أبناء المنطقة، فإن المجاهدين الأوائل كانوا يملكون من الأسلحة، سوى 30% من البنادق الحربية القديمة، المسترجعة من مخلفات الحرب العالمية الثانية. أما بقية السلاح فكان عبارة عن بنادق صيد. حيث أكد ذلك أحد مجاهدي المنطقة بالقول: «.. كنا نخوض معارك مع الجيش الفرنسي ببنادق صيد رغم علمنا أنها لا تخترق دروعهم، وبيجنود لم يسبق لهم أن تدربوا على الأسلحة ولا على فنون الحرب، باستثناء بعض المعلومات الأساسية، التي كان يتلقاها المجاهد أثناء انخراطه في صفوف الثورة عن كيفية استعمال السلاح.»<sup>(36)</sup>

وذكر لي مجاهد من أبناء مدينة الوزنة، كان على رأس فصيلة بمنطقة المناجم الشرقية، بأن أفراد جيش التحرير الوطني لم يكونوا، عندما التحق بهم في عام 1956، يدرون ما هي الخنادق، ولا يعرفون لحن السير العسكري.<sup>(37)</sup>

بينما وصف أحد الضباط الفرنسيين، ممن حاربوا في منطقة تبسة، أسلوب حرب الثوار المحليين بالقول: «كان علينا التعامل مع حركة عصابات مسلحة مختبئة في أقاليم بعيدة، شاسعة وصعبة الولوج.. لم يكن العدد الإجمالي لهاته العصابات يتجاوز 5000 رجلا.. كانوا موزعين إلى مجموعات من 30 إلى 100 محارب، وكانوا زيادة على ذلك، يتألفون من تشكيلات متنوعة بحسب المناطق.»<sup>(38)</sup>

ولكن قيادة الثورة اجتهدت في وضع نظام ثوري عسكري، يتسم بالمرونة في الأسلوب، والسرعة في التنفيذ، ويقوم على الاستخدام الجيد للأرض للوقاية والتمويه. وركزت جهودها على ضرورة إنجاح النشاط الثوري، وتدعيم وتحسين مناهجه في مختلف الميادين. واعتمدت في تدريبها للمجاهدين على القدرات البشرية، والمادية، والتسليحية المتوفرة لديها. ثم وفرت بعد ذلك مراكز تدريب، ومدارس تكوين في مناطق الحدود الشرقية والغربية للوطن.

ففي عام 1955، حصرت الأهداف الواجب بلوغها في نهاية شهر أكتوبر من نفس العام، في: «زيادة وتيرة النشاط الثوري، وبلوغ مستوى العنف، الذي حدث في الفاتح من نوفمبر 1954.. اتخاذ الإجراءات اللازمة لشن سلسلة من الإضرابات والمظاهرات في المراكز الحضرية داخل الجزائر، وفي فرنسا، بهدف جلب انتباه العالم الخارجي عشية اقتراب موعد انعقاد دورة هيئة الأمم المتحدة»<sup>(39)</sup>

ولما شدد الخناق على قوافل الأسلحة القادمة من تونس، بعد استكمال الخط الحدودي المكهرب الثاني، وشُرع في تنفيذ مخططات شال الجهنمية، تبنت قيادة الثورة: «تكتيكا يعتمد على الإمكانيات الذاتية المحدودة، وإعطاء التعليمات إلى الجنود، بتجزئة وحدات جيش التحرير، وتحاشي الاشتباك مع جيش الاحتلال قدر الإمكان، بغية المحافظة على أكبر عدد ممكن من عناصره، لقناعتهم بأن الثورة ما زالت متواصلة»<sup>(40)</sup>

فالإيمان بعدالة القضية الوطنية، وأهدافها الوطنية السامية كان أمضى سلاحا يمتلكه المجاهدون خلال المراحل الأولى للثورة. كما أن نجاح الثورة لم يكن في كثرة السلاح وتنوعه، بل كان في شجاعة رجالها وإيمانهم بعدالة قضيتهم، واستعدادهم للتضحية في سبيل ذلك.

وفي هذا الشأن قال المرحوم أحمد توفيق المدني: «إن القوة الأساسية التي يعتمد عليها المجاهدون الأبرار، هي قوة الروح، قوة العزيمة، قوة الإيمان. وتلك قوة ما غلبتها في العالم قوة»<sup>(41)</sup>

كما أشار إلى ذلك أحد الكتاب الإنجليز، بالقول: «من ميزات القادة الثوريين، إيمانهم بإمكانية النصر العسكري على جيش الاحتلال الفرنسي»<sup>(42)</sup>

فقد تمتع قادة الثورة في المنطقة الحدودية الشرقية، بكفاءة عالية في القيادة. حيث أدركوا أن العنصر البشري هو المحور الأساس، الذي تقوم حوله إستراتيجية الكفاح التحرري. فوطدوا علاقتهم الإنسانية بجنودهم، بأن عاشوا معهم في الجبال والفيافي،

وتحملوا معهم صعوبة الحياة وضنك العيش، ووجهوهم التوجيه الناجح في خوض المعارك، مما جعلهم محل ثقة وتقدير جنودهم.<sup>(43)</sup>

وبذلك، تمكنوا من توجيه الوعي بالظلم المتراكم في نفوسهم، توجيهها حدّد للشورة غايتها، ووسائلها، وإستراتيجيتها التي تحفظ جودها، وتضمن استمرارها.<sup>(44)</sup>

### ب) - القدرات التكتيكية :

يُعرف التكتيك العسكري بأنه : « فن ضروري لكل قائد مجموعة، يُعلّم طريقة تنفيذ خطط الإستراتيجية. والتكتيك يتم تعلمه من خلال التجربة في ساحات الوغى. »<sup>(45)</sup>

وبما أن الثورة التحريرية اعتمدت في الجانب التكتيكي على حرب العصابات، فإن جنود جيش التحرير الوطني اكتسبوا روحا جهادية عالية، وحسن تدريب قتالي، ونفسي ومعنوي كبير، وقدرة على التكيف مع طبيعة أرض المعركة.

ويمكننا حصر التكتيك العسكري في النقاط التالية :

- ❖ التنقل الخفي، والثبات أثناء الاستطلاع الجوي، وعدم إشعال الأضواء أو النيران، وإخفاء الألوان، ولمعان وبريق الأسلحة والمعدات.
- ❖ الاحتماء بالنقاط الميّنة كالغابات الكثيفة، والذوبان في التضاريس الجغرافية كالمنحنيات، والتجاويف، والخنادق.
- ❖ تجنّب الاصطدام بالعدو المتفوّق في العدة والعتاد، والتملّص من عمليات التمشيط الكبرى، والانتشار في أماكن متفرقة، والتنقل في وحدات صغيرة، وتجنّب التمرکز في مواقع ثابتة لمدة طويلة.
- ❖ تخريب قدرات العدو المختلفة، وتدميرها بالحرق و القلع و القطع.
- ❖ نصب الكمائن، وزرع الألغام لمنع تقدّم وحدات العدو نحو المعازل الثورية.

❖ اختراق صفوف العدو، ومؤسساته، واتصالاته اللاسلكية، والضغط المتواصل على معنويات جنودها، بتنفيذ عمليات عسكرية

خاطفة ضدهم في المدن والأرياف، ويُعرف هذا التكتيك باسم :  
"الوخز بالإبر".

❖ الدفاع الثابت المؤقت عند الاضطرار، لأنه كما هو معلوم في الإستراتيجية الحربية، يتيح لقوة تتكون من 20 مجاهد متحصنين بشكل جيد، القدرة على دحر 100 مهاجم من المقاتلين النظاميين في وضعية هجوم. وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز : «فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة : الآية 249]».

❖ حسن استغلال ميدان المعركة حتى وإن كان في غير صالحهم. فكان المجاهدون عندما يطبق عليهم العدو الطوق بقواته البرية والمجوقة، يتوزعون على مناطق عديدة. فيخلقون بذلك نقاط ارتكاز، ويجبرون العدو على تشتيت قيادته واتصالاته.

❖ الحفاظ على شبكة الاتصال مع المنظمة المدنية للشعب، سواء في الدواوير أو المشتات بأعالي الجبال، أو في المحتشدات لمعرفة تحركات قوات العدو، وتفادي ضمان البقاء على قيد الحياة.<sup>(46)</sup>

وقد اضطرت قيادة الجيش الفرنسي، أمام التكتيك الحربي للثورة، إلى إعادة النظر في كل الهيكلة العسكرية في المنطقة الشرقية، باستحداث هيكلية عسكرية جديدة، وإنشاء ما اصطلح عليه باسم : المنطقة الشرقية القسنطينية<sup>(\*)</sup>، والتي قسّمت في فترات متقطّعة إلى قسمين : قسم شمالي، وقسم جنوبي، ودخلت المنطقة مجال بحثنا، تحت إشراف القسم الأخير، خاصة بعدما، « شهدت أكبر المعارك نظرا لقربها من الحدود التونسية.»<sup>(47)</sup>

كما ضيّقت على تحركات جيش التحرير الوطني عبر الحدود، بالاعتماد على قوات متنوعة مثل تكليف مركز المراقبة رقم 11 بالمريج، بمهمة مراقبة المنطقة الحدودية.<sup>(48)</sup> كما أرسلت الفيلق الأجنبي الأول مظليين، الذي كان يتألف في أغلبه من جنود ألمان،

وبعض قدماء الجيش النازي، إلى مدينة الونزة في شهر جوان 1955، لمراقبتها والسيطرة على جنوبها.<sup>(49)</sup>

ونشرت حول الحاجز الحدودي المكهرب حوالي 20 كتيبة مشاة، و16 كوكبة مدرعات، و11 فصيلة مدفعية، وفصيلتين للاتصالات، و7 وحدات للهندسة العسكرية ووحدتين للاكترو-ميكانيك.<sup>(50)</sup> ناهيك عن زرع حوالي ثلاثة مليون لغم مضادا للأفراد على طول الحدود الجزائرية، بين سنوات 1956 و1959، لمنع الثوار الجزائريين من التنقل فيها.\*

ولكن بالرغم من عقبه الحاجز الحدودي المكهرب، إلا أن تكتيك قيادة الثورة نجح في تجاوزها في نهاية المطاف. فقد شهد جنرالا فرنسيا على فشل خط موريس في منع تسلل عناصر جيش التحرير، بالقول أن : «في نهاية ديسمبر 1957، كانت حصيلة محاولة العبور حسب ما يبدو كنجاح لجبهة التحرير الوطني، أثبت أن ما بين 99 محاولة اختراق نجح منها 66 محاولة. .. وبناء على هذه النتيجة وجب على القيادة الفرنسية أن تعمل بسرعة لتوقف هذه التسريبات وغلق الحدود. حيث ارتأت أن السد المكهرب الذي أقيم ما بين شهري جوان - أكتوبر 1957، بات مشكوكا في فعاليته.»<sup>(51)</sup>

ويمكننا إبراز القدرات التكتيكية لجيش التحرير الوطني من خلال النقاط التالية :

1)- اعتماد حرب طويلة الأمد لإنهاك العدو بضربات متواصلة، ونشر حالة لا أمن لزراعة معنويات قواته. فقد أدت عملياته الهجومية على مراكز الشرطة والجندرمة، والمراكز المنجمية في المنطقة فضاء بحثنا، وتدمير المنشآت القاعدية، واستهداف الوشاة والخونة إلى إضعاف الهيكل العسكري والأمني للعدو، وتشتيت قواه في عامة البلاد، وإضعاف معنويات جنوده، وإبقائهم في حالات انزعاج وإرهاق دائمة، وخلق وضع غير آمن باستمرار. مما حدا بالسلطات العسكرية الاستعمارية إلى شن عمليات تمشييط واسعة والزيادة في عدد جنودها، ونشر قوات عسكرية

وأمنية لحماية المراكز المنجمية، وفرض حصار خانق على المنطقة، وتحويل منطقة تبسة ابتداء عام 1955، إلى منطقة عسكرية محرّمة.<sup>(52)</sup>

(2) - التركيز على العمليات الفدائية ضد المراكز المنجمية، لأن العملية الفدائية الواحدة بالمدينة تكون، كما ذكر أحد الضباط في جيش التحرير الوطني، أحسن في نتائجها من 100 معركة في الجبل.<sup>(53)</sup>

ففي صيف 1957، شنت وحدات من جيش التحرير هجمات على منجمي الكويف وبوخضرة، أسفرت عن سقوط قتلى، وجرحى بالعشرات، في صفوف المستوطنين، وأحدثت رعبا وفزعا في صفوف قوات جيش الاحتلال.<sup>(54)</sup> كما كثفت هجماتها على الهيئات الإدارية الاستعمارية في قرية المريج، كمقر البلدية، ومقر المصلحة الإدارية المختصة.<sup>(55)</sup>

حيث ذكر المسؤول الأول عن الهيئة الأخيرة، العقيد بلانش (Blanche) عن وقوع 6 مخازنية تابعين له في كمين نصبه لهم الثوار، في 16 جانفي 1957.<sup>(56)</sup> وأشار أن مصلحته تعرضت في شهر نوفمبر 1958، إلى 5 مضايقات منها: وضع عبوة مفخخة، استعمال السلاح الآلي، والقصف بالهاون.<sup>(57)</sup>

وقال خليفة العقيد بلانش في قيادة المصلحة الإدارية المختصة بالمريج، النقيب تيربي،: « كُنّا نتعرّض خلال الليل لهجمات عديدة بالرشاشات وبخاصة مدفع الهاون. فعناصر جبهة التحرير الوطني كانوا ينقلون بكل أمان عتادهم بالعربات إلى غاية الحدود، ومن هناك، كان عليهم فقط قطع بعض المئات من الأمتار ليكونوا في أحسن مدى للرمي.»<sup>(58)</sup>

وذكر ضابط فرنسي عمل في منطقة المريج، أن الأمن خلال عام 1958، كان منعزما في المنطقة بأكملها. مما حدا بجيش الاحتلال إلى نصب مئات الألغام، خلال سنة واحدة، على الطريق الرابط بين المريج، والونزة.<sup>(59)</sup>

(3) - مواجهة الضغط العسكري الفرنسي المستمر عليهم، بمجموعات صغيرة مؤلفة من بضعة مجاهدين، والتركيز على

العمل المدني، والقدائي أكثر من العمل العسكري، ونصب الكمائن لتوفير الأسلحة والذخيرة، وتنفيذ عمليات فدائية في المدن، والمراكز الاستيطانية.<sup>(60)</sup>

ففي بداية الثورة، اعتمد مجاهدو المنطقة الحدودية الشرقية، عنصر المباغته في هجومهم على قوات جيش الاحتلال. ثم الانسحاب بسرعة إلى مراكزهم سواء الموجودة في الجبال المجاورة\* أو التي توجد في الحدود التونسية<sup>(61)</sup>، وتجنب الدخول معه في اشتباك مباشر إلا عند الضرورة. وكانوا يركزون جهودهم على وضع الكمائن، التي عادة ما تكون نتائجها مضمونة.<sup>(62)</sup>

كما لجؤوا في حالات معينة، إلى تطبيق تكتيك حربي، قام على شن عمليات متتالية ممتدة على نطاق واسع، بقيادة وحدات نظامية.<sup>(63)</sup>

فقد ذكر تقرير لمصلحة اتصالات الشمال إفريقي، إلى نشاط الثوار في شهر أكتوبر 1955، أن: «.. هجوم المتمردين صار قويا، وكلل ببعض النجاحات. فعودة الهجمات استمرت طيلة أيام الشهر، وبخاصة في القسم الحدودي. .. أظهرت بعض الاشتباكات الخطيرة مع قواتنا، تواجد عصابات مدعمة بالأسلحة، والأفراد. فعودة اعتداءات الخصم ناتجة عن رجوع أغلب العصابات التي كانت قد تجمعت الشهر الماضي في تونس.»<sup>(64)</sup>

وفي عام 1956، شهدت منطقة المناجم، معارك بين عناصر جيش التحرير الوطني، وقوات جيش الاحتلال، اصطلح عليها باسم: "معارك سكك الحديد". حيث أبلى فيها الأوائل البلاء الحسن، ونازلوا عدوهم منازل الرجال، مما اضطره إلى طلب المزيد من القوات. وفي هذا الصدد قال أحد الضباط الفرنسيين: «... واجهت فرقة المشاة المتحركة الثانية، بقيادة الجنرال "بوفر"، وحدات صلبة من جيش التحرير، كانت تضاعف من هجماتها وأعمالها التخريبية. لقد اندلعت معارك حول سكك الحديد حقيقية، وبخاصة حول خط سكة الحديد الرابط بين عنابة ومناجم الونزة، ... وأمام تفاقم أعمال

التخريب، حصل الجنرال في شهر أبريل، على دعم من الوحدة الثالثة مظليين استعماريين، ووحدة من مغاوير البحرية»<sup>(65)</sup>.

وأشار تقرير صادر عن المكتب الثاني بقسنطينة إلى الوضع العسكري في منطقة الشرق الجزائري خلال شهر ماي 1957، بالقول: «تعدّد الاشتباكات العنيفة.. تؤكد أن شروط المقاومة قد تبدلت.. فالיום، صار بإمكان قواتنا مواجهة وحدات نظامية، مسلحة بشكل جيد في قسم كبير من الإقليم، تحسن المناورة في الغالب، وقادرة على القيام بأعمال منسقة.. وبالرغم من نشاطنا العسكري، فإن الحلقة الثورية مستمرة في التطور»<sup>(66)</sup>.

كما ذكرت صحيفة "التايمز" البريطانية، في أعدادها الصادرة أيام 3، 4، 5 مارس 1958، إلى حسن التنظيم والتنسيق الثوري في المنطقة فضاء بحثا، وصعوبة القضاء على الثورة فيها، بالقول: «يملك الثوار شبكة تنظيم [عسكرية وسياسية] في كل مكان في الجزائر. حصونهم المنيعّة الحقيقية توجد في المناطق الجبلية في جبال الأوراس والنمامشا.. وإلى أبعد من ذلك في جهة الشرقية حتى الحدود التونسية.. ونحتاج لتصفية كل هذا الإقليم، إذا ما اعتبر أنه مشكلة عسكرية فقط، إلى سنوات بأكملها»<sup>(67)</sup>.

4- التآقلم التكتيكي، وذلك بالتآقلم مع كل أنواع الحملات العسكرية التي تشن ضدهم، وتفادي ضربات القصف الجوي، والمدفعية الثقيلة، وكمائن العدو في قمم الجبال وسفوحها، والاختباء في مواقع قريبة من مراكز جيش الاحتلال. ثم العودة تدريجيا إلى المعقل في قمم الجبال بعد انتهاء عمليات التمشيط فيها.

وتقرّر تفاديا للمواجهة المباشرة مع القوات الكبيرة لجيش العدو، استغلال ظلمة الليل لقنص الوحدات المتقدمة، ثم الانسحاب بسرعة. وكذا الانقسام عند الضرورة إلى وحدات صغيرة وتحول الكتيبة إلى أفواج من 4 إلى 6 جنود، مستقلة تماما في إدارة شؤونها، وبالتالي تكون أكثر قدرة على الحركة في حال الاشتباك مع قوات العدو. وكان الهدف

من وراء هذا التكتيك الثوري، هو منع العدو من تحقيق أهدافه بالقضاء على الثوار، والسيطرة على مواقع الثوار في الجبال.

5- القدرة على التأقلم مع حرب العصابات. لقد قام التنظيم العسكري للثورة عند انطلاقها، على تقسيم الجزائر إلى مناطق ثورية، وتنظيم الجيش على أساس الفوج ونصف الفوج، وهو التنظيم الذي وضعته المنظمة الخاصة خلال فترة إعدادها للكفاح المسلح.<sup>(68)</sup>

ونجد بخصوص المنطقة مجال دراستنا، أن القيادة الميدانية للثورة التي كانت من رجال المنظمة الخاصة، ومناضلي حزب حركة الانتصار، مثل مختار باجي، وعمر جبار، والطاهر الزبيري، قد نجحت في إعداد الثوار الذين كانوا من الفلاحين والعمال لمواجهة قوات العدو النظامية، وتدريبهم على طرق ووسائل حرب الكر والفر.

حيث تمكنوا من التغلب على الخطط العسكرية لعدوهم، والإفلات من حصاره أثناء عمليات التمشيط والتربيع الواسعة، التي جردت على المنطقة، وكذا التغلب على عائق الحاجز الحدودي المكهرب، من خلال تنفيذ عمليات فدائية خاطفة ضد وحداته، وتجنب الدخول معه في معارك مباشرة إلا عند الضرورة، والتركيز على مهاجمة أعوانه وجواسيسه لمنح الثقة للجماهير، وتعميم الوضع غير الآمن، وإنشاء سلطة مدنية موازية لوضع حد للسلطة الاستعمارية، وإنشاء مناطق محررة تكون محصنة وفي منأى عن يد العدو.

وخلال هذه المرحلة يتوحد المظهر الفكري بالمظهر السياسي، كي يتم تخليص مختلف أجهزة السلطة الثورية، التي ستتولى تسيير البلاد بعد الاستقلال.<sup>(69)</sup>

- تنويع الهجمات على قوات العدو، واستهداف مصالحه الإدارية، المدنية منها والعسكرية، التي كانت تركز السيطرة والهيمنة على البلاد والعباد.

## الغاية

في عام 1948، ذكر تقرير قُدم إلى اللجنة المركزية الموسّعة لحزب حركة الانتصار حول التكوين الإيديولوجي والسياسي لإطارات المنظمة الخاصة، أن: «حرب التحرير ستكون حرباً ثورية حقيقية.. بالإضافة إلى أن الحرب الثورية هي الشكل الوحيد المناسب للظروف السائدة في بلادنا. إنها الحرب الشعبية [...] حرب الكر والفر التي تقودها الطلائع المنظمة عسكرياً من الجماهير الشعبية، والمعبأة سياسياً والمهيكله بصلاية.»<sup>(70)</sup>

ويعد هذا النوع من الثورات، الاختيار الوحيد الذي كان متاحاً أمام الجزائريين لتجاوز ضعف وسائلهم القتالية، وقلة إمكاناتهم المادية، وبساطة خططهم العسكرية، في سعيهم للإطاحة بالسلطة الاستعمارية القائمة، وتحقيق هدفهم المنشود.

وبما أن طبيعة الحرب الثورية، تعتمد في المقام الأول على عنصريّ الإنسان والسلاح، فإن الثورة الجزائرية اعتمدت، فيما يخص العنصر الأول، على مناضلين مدنيين، وليس مقاتلين محترفين، أو عسكريين مدربين. وقد كانت قيادة الثورة مدركة تماماً لهذه الحقيقة. فلذلك ركزت منذ الوهلة الأولى على تكوين أفراد جيش التحرير الوطني، تكويناً مادياً وتكتيكياً، وتطوير قدراتهم القتالية في ساحات الوغاء، من خلال تعليمهم وتدريبهم على أساليب القتال، وخطط المواجهة والتصدي، وطرق حرب الكر والفر، بالاعتماد على إمكانياتهم الذاتية، واستعداداتهم النفسية، وقناعاتهم الدينية.

فالخبرة النضالية، والتجربة الميدانية لقيادة الثورة، جعلتهم يدركون أن الفرد هو الأساس الذي تقوم عليه ثورة التحرير بالدرجة الأولى، وأن نجاحها مرهون بنوعية الثوار الذين يقودونهم، ودرجة الاتصالات بوحداتهم، وتنظيم كيفية انشغالهم، والقدرة على تجميعهم، وتحريكهم.

وبذلك اكتسب المجاهد الجزائري خبرات قتالية عالية، حفّزته على مواصلة الكفاح، ومكنته من مواجهة خصمه المتفوق عليه في العدد

والعتاد، والصمود أمام آلاته الحربية الفتّاقة، والانتصار عليه في بعض المواقع، ودفعه إلى ارتكاب أخطاء تكتيكية، وجرائم لا إنسانية، وبالتالي إقامة الحجّة عليه أمام الرأي العام الداخلي والخارجي.

ففي منطقة المناجم الشرقية، تمتّع أفراد جيش التحرير الوطني بقدرات قتالية كبيرة، وتحلوا بشجاعة وبسالة مثالية، وانضباط كبير في الانصياع للأوامر وتنفيذها. فكانوا يثبتون وجودهم الثوري، بتنفيذ عمليات فدائية دقيقة ضد مصالح الإدارة الاستعمارية، وشركات الاستغلال المنجمي، وضد عناصر جيش الاحتلال، ومصالح الأمن والدرك وأعاونهم من الخونة، المنتشرين في المنطقة، والمتحصّنين في المراكز والثكنات، بتكثيف الهجوم عليهم، وقبلة مواقعهم، وشق صفوفهم بتدبير عمليات فرار جماعي للمجندين الجزائريين، وقوات اللفياف الأجنبي.

كما امتلكوا قدرات تكتيكية أهلتهم لمقارعة جيش نظامي هو الرابع عالميا من حيث القوّة. كالقدرة على التصرّف معه بمباغتة عند الهجوم، وشدة عند الالتحام، وإتقان عند التسديد، وخفة عند المناورة. وكانوا في ذلك مهتدين بقول الله عزّ وجلّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» {التوبة - الآية 124}

فاعتماد عنصر المفاجأة حين الهجوم، وتحمل المخاطرة لبلوغ الهدف الاستراتيجي، هي: «وسيلة للحصول على التفوق.. وعندما تتجح، فإنها تشر البلبلة وتحطم شجاعة العدو.»<sup>(71)</sup>

وتجلّت قدرتهم القتالية أيضا في مواجهة الصعاب، والثبات في ميدان المعارك عند مقارعة العدو، ومحاربتة حتى آخر رمق من دمائهم، تحت نيران المدفعية والقنبلة الجوية. مثلما تجلّى في معركة مزوزيا التي دارت في 25 فيفري 1958، عند المحور الذي كانت تقطعه قوافل حمل السلاح باتجاه الولاية الأولى. حيث كبّد فيها عناصر جيش التحرير الوطني، وحدة المظليين التي اشتبكت معهم خسائر

بشرية بلغت 18 عنصرا بين قتيل وجريح، وذلك بالرغم من تدخل الطيران وقصف المجاهدين بالنابالم.<sup>(72)</sup>

وكذلك السير على الأقدام لمسافات تصل أحيانا إلى 50 كلم أحيانا، لتنفيذ عمليات استنزاف ضد مواقع جيش العدو، أو إحداث خروقات في الحاجز الحدودي المكهرب.

والحفاظ على استمرارية الثورة إلى أن رضخت السلطات الفرنسية لمطالب جبهة التحرير الوطني، الخاصة بوضع نهاية للاستعمار، واستعادة استقلال الجزائر.

## الهوامش

- 1 -Zdravko Pečar, *ALGERIE. Témoignage d'un reporter yougoslave sur la guerre d'Algérie*, E. N. L, Alger, 1987, p. 315.
- 2 -Harbi Mohammed, *Le FLN, mirage et réalités*, Editions Jeune Afrique, Paris, 1980, p. 210.
- 3- شلالى عبد الوهاب، *دور عمال المناجم الجزائرية في ثورة التحرير الوطني. 1962-1954*. أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، مارس 2011.
- 4- أنظر الدراسة المفصلة عن هذا التكتيك الحربي لجيش التحرير الوطني في المجاهد، عدد 12، ديسمبر 1960.
- 5- شلالى عبد الوهاب، أوضاع العمال المسلمين الجزائريين في مناجم الونزة. 1913 - 1966، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، مارس 2004. ص. 80.
- 6- بوحارة عبد الرزاق، منابع التحرير. أجيال في مواجهة القدر، تر. صالح عبد النوري، دار القصة للنشر، الجزائر 2500، ص. 400.
- 7- زبييري الطاهر، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين. 1929-1962، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والصحافة، الجزائر، 2008، ص. 185-186.
- 8- عوادي عبد الحميد، *القاعدة الشرقية*، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، د. تا.، ص. 153-154.
- 9- ورد في المجاهد، عدد 31 خاص، 1 نوفمبر 1958، ص. 12.
- 10- زبييري، المصدر السابق، ص. 129.
- 11- Commandant Azzedine, *On nous appelait les Fellaghas*, Paris, Stock, 1976, p. 185

12- ع. بوطيبة، 50 سنة على استشهاد باجي مختار المجاهد العنيد، الشعب، عدد 13510، 20-11-2004، ص. 3.

13- Meynier Gilbert, « Notes de lecture », NAQD, n° 14-15, 2001, p. 184.

14- Zerguini Mohamed, *Une vie de combats et de lutte, Témoignages et appréciations*, t. 1, 1941-1962, Les Editions Algériennes EN-NAHDHA, Alger 2000., p. 113.

15- أنظر تقارير المكتب الثاني في : S.H.A.T., 1H1426/1 et 2

16- Guerfi Salah, « *les origines historiques de la stratégie militaire algérienne (1954 - 1962)* », Livre II (L'état-major de la Révolution), IX - Les barrages frontaliers, El-Djeïch n° 604, Novembre 2013, p. 49.

17- Horne Alistair, *Histoire de la Guerre d'Algérie*, traduit par Du Guerny Yves, Editions Albin Michel, Paris 1980, p. 105.

18- عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسية، ج. 1، استراتيجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بلاتا، ص. 170.

19- براكتية شريف، "جيش التحرير الوطني، من بندقية الصيد إلى سلاح الهاون"، الشعب، 01-11-2005، عدد 13802، ص. 10.

20- شهادة مسجلة أدلى بها إلي السيد عبد الله شارني في بيته بالونزة، يوم 25 من جوان 2005.

21- كافي علي، مذكرات. من المناضل السياسي إلى القائد العسكري، 1946-1962، دار القصة للنشر، الجزائر 1999، ص. 248.

22- قبسات من تاريخ المنطقة الخامسة إبان ثورة التحرير. التسيقية الوطنية لأبناء الشهداء، دائرة الكويف، شباط-فيفري 1996، ص. 42.

23- المجاهد، المصدر السابق، ص. 298

24- Salah Guerfi, *Les origines historiques de la stratégie militaire algérienne (1954 - 1962)*, revue El-Djeïch, n° 585, Avril 2012, p. 76.

25- مراردة مصطفى، مذكرات. شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى، دار الهدى، عين مليلية، 2003، ص. 42.

26- Harbi, op-cit., p. 122

27- Farale Dominique, *La Bataille des monts Nementcha (Algérie 1954-1962) Un cas concret de guerre subversive et contre-subversive*, Economica, Paris 2004, p. 133.

28- Ibid., p. 127.

29-Owaye Jean-François, *Guerre, Histoire et mythologie africaine*, Mon petit éditeur, Paris 2012, p. 98.

30- Djerbal Daho, « *Les maquis du nord-constantinois face aux grandes opérations de ratisage du plan Challenge 1959 – 1960* », in *Militaires et Guérilla dans la guerre d'Algérie*, éditions Complexe 2001, p. 195.

31- سعدي عثمان، *مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج*، ط. 1، شركة دار الأمة، الجزائر مارس 2000، ص. 15.

32- شهادة المجاهد آيت مهدي، المدعو سي مقران، حول معركة سوق أهراس أفريل – ماي 1958، جريدة أوريزون، 23 ماي 2012.

33- Section de gendarmerie de Tébessa, Note de renseignement, n° 34/4, Tébessa le 13 Février 1956, pp. 1-2.

34- المنظمة الوطنية للمجاهدين، ولاية تبسة، التقرير الولائي لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من 20 أوت 1958 إلى مارس 1962، الجزء 1، مطبوعة مرقونة، ص. 38.

35- بولحراف خليفة، "الطلائع الأولى لجيش التحرير الوطني وتداعيات العمل الثوري بمناطق الحدود الشرقية، منطقة تبسة"، الملتقى الوطني الأول حول دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، إنتاج جمعية الجبل الأبيض تبسة، مطبوعة قريفي عمار، باتنة، بلاتا، ص. 66.

36- براكتية، المصدر السابق.

37- شهادة، أدلى بها إلي السيد عماري طراد، في بيته بالونزة، يوم يوم 2 أوت 2006.

38- Cité par Zdravko, op-cit., pp. 268-269.

- 39- تقرير مصلحة "اتصالات الشمال الإفريقي"، صادر في شهر أكتوبر 1955، أورده بوحارة، المصدر السابق، ص. 391.
- 40- كافي، المصدر السابق، ص. 248.
- 41- أحمد توفيق المدني، هذه الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بلا تا.، ص. 221.
- 42- وليم ب. كواندت، الثورة والقيادة السياسية، الجزائر 1954-1968، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، دمشق 1981، ص. 161.
- 43- Harbi Mohammed, *Une vie debout. Mémoires politiques*, t. 1, 1945-1962, Casbah Editions, Alger 2001, p. 283.
- 44- طالب عمار، في مفهوم الثورة والنقد الثوري، مجلة الأصالة، الجزائر، السنة 8، العدد 73-74، سبتمبر-أكتوبر 1979، ص. 41.
- 45- Debouyn Edouard-Henri, *Cours d'art et de tactique militaires*, Imp. L. Daniel, Lille 1865, p. 6.
- 46- Daho, op-cit., p. 221.
- (♦) تألفت "المنطقة الشرقية القسنطينية"، عسكريا من عشر كتائب مشاة؛ ثمانية كتائب؛ تسع فرق مدفعية وفرقتي رادار، ثمانية فيالق هندسة، إضافة إلى وحدات القطار، والعتاد، والاتصال، الدرك المتنقل. حيث بلغ مجموع العساكر بين 40 إلى 50 ألف رجل. أنظر :
- Multrier, " *Le barrage en zone est-constantinois*", in *R.I.H.M.*, No 76 – 1997, [en ligne]. Disponible sur <[http://www3.stratisc.org/rihm\\_76\\_tdm.htm](http://www3.stratisc.org/rihm_76_tdm.htm)>.
- 47- Montagnon Pierre, *La Guerre d'Algérie, genèse et engrenage d'une tragédie*, Pygmalion Gérard Watelet, Paris, 1984, p. 175.
- 48-Lesage Guy, " *Une batterie radar-canon sur le barrage Algéro-Tunisien (1960-1961)*", *R.I.H.M.*, op-cit.
- 49- Alleg Henri, *La guerre d'Algérie*, t. 2 & 3, Temps actuels, Paris, 1981, p. 340.
- 50- Du Jeu Bruno, " *Témoignage d'un capitaine commandant un escadron d'automitrailleuse chargé de la surveillance d'une portion du barrage électrifié à la frontière Algéro-Tunisienne en 1959-1961*", in *R.I.H.M.*, op-cit.

(♦) في 20 أكتوبر 2007، سلمت فرنسا رسمياً للحكومة الجزائرية، خريطة الألغام المضادة للأشخاص، التي زرعها جيشها خلال فترة الثورة التحريرية.

51- عوادي، المصدر السابق، ص. 161-162.

52- Zdravko, op-cit., p. 296.

53- العقيد محمد رمضان، " بهذه الإستراتيجية ألحق ثوار الجزائر الهزيمة بحلف الناتو"، [موقع إلكتروني]:

http :  
//www.echoroukonline.com/ara/articles/86666.html?u=5001&output\_type=rss

54- المجاهد، يوميات الكفاح الجزائري، العدد 8، نشر وزارة الإعلام، الجزائر 1984، الجزء الأول، ص. 2.

55- Benferhat Abdelkader, *Les Sections administratives Spécialisées. Etudes de cas : Département de Bône, arrondissements de Tébessa et Clairefontaine (1954-1962)*, mémoire de maîtrise d'histoire, Université de Province, 1998, p. 140.

56- Etude des S.A.S de l'arrondissement de Clairefontaine faite par le colonel Blanche le 14 mai 1958 (7 SAS 4), cité par Benferhat, ibid, p. 147.

57- Ibid, p. 148.

58- Ibidem.

59-Guichard Pierre, *Problèmes ruraux en Algérie*, mémoire présenté à l'institut d'études politiques de Lyon 1962, document dactylographie, p. 34.

60- مراردة مصطفى، مذكرات. شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى، دار الهدى، عين مليلية، 2003، ص. 145.

(♦) نذكر من ضمن تلك القواعد، مركز الحوض، جبل سيدي أحمد، سطحة الدير، جبل بلكفيف، جبل بوربيعية، جبل الذروة، منطقة فريطيسة المحاذية للحدود التونسية. الخ.

61- Farale, op-cit., p. 128.

62- زييري، ص. 129.

63- Zdravko, op-cit., p. 24.

64- أنظر نص التقرير في : بوحارة، المصدر السابق، ص. 387-386.

65- Alleg, p. 118.

66- Synthèse mensuelle de renseignements du 2e Bureau, Constantine mai 1957, cité par Harbi, *Le FLN*, op-cit., p. 61.

67- Cité par Zdravko, op-cit., p. 278 - 279

68- الزييري محمد العريبي، تاريخ الجزائر المعاصر، 1992-1942، الجزء الثاني، دار هومة، الجزائر بلا تا، ص. 95.

69- HARBI, op. cit., p. 128.

70- تقرير منسوب لحسين آيت أحمد، ورد في :

Harbi Mohammed, *Les Archives de la révolution algérienne*, Edits. Dahlab, Alger 2010, pp. 22-23.

71- Carl von Clausewitz, *De la guerre*. Traduit par Denise Nivelles, Paris, Editions de Minuit, 1955, p. 207.

72- Guerfi, op-cit., p. 47.